دار الكتاب الصوفي

تقدم

تنبؤات الإمام أبي العزائم لمستقبل الأمة الإسلامية

الجفر

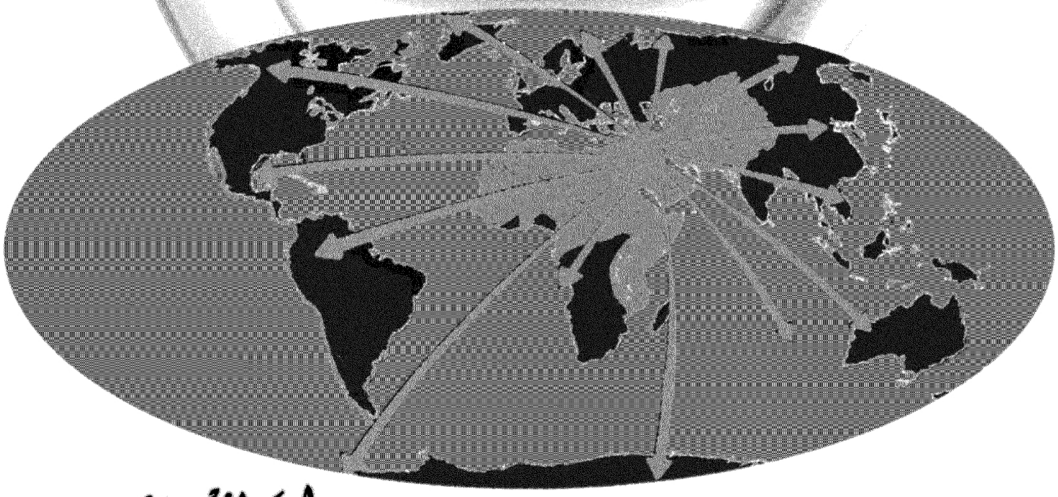

طبع بإذن من

السيد علاء أبو العزائم

شيخ الطريقة العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة
والتصوير والاقتباس والنقل
محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الخامسة
مُحَرَّمٌ ١٤٣٤هـ - ديسمبر ٢٠١٢م

عنوان الكتاب	الجفر
المـــــؤلـــــف	الإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم
النـــاشـــــــر	دار الكتاب الصوفى
عنـــــــــوان	٤ ش الشيخ حمزة متفـــرع مـــن ش
النـــاشـــــــر	بورسعيد - السيدة زينب - القاهرة
رقم التليفـــون	٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيـــداع	١٥٦٦٦ / ٢٠٠٠م
الترقيم الدولى	X-٥١-٥٢٧٣-٩٧٧

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره. سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه، ولا قربه ساواهم في المكان به، لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود، على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوًّا كبيرًا.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك بالحق، ورسولك إلى الخلق. اللهم أجمع بينه وبيننا في برد العيش وقرار النعمة، ومنتهى الطمأنينة وتحف الكرامة، سرًّا وعلنًا، روحًا وشبحًا، قلبًا وقالبًا، حالاً ومقامًا، عقيدة وعبادة، وخُلقًا ومعاملة.

ورضي الله تبارك وتعالى عن أهل بيته مصابيح الظُّلَم، وعصَمُ الأمم، ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة.. صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون مقابلة لفضلهم، ومكافأة لعملهم، وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم.

وبعد..

إن المطالع لحال الأمة الإسلامية يجد أنها تمر بدورة المخاض، والمخاض يسبق الميلاد، وعلامات اقتراب الفجر وجود الظلمة الحالكة، وليس بعد الفجر إلا إشراقات الضحى، وظهور شمس العزة والنصر.

سينصر الله تبارك وتعالى أمة المصطفى ﷺ بالرغم مما نراه فيها ونحس به ونعلمه، من بعد الأكثرية عن حقائق الكتاب وصحيح السنة، وبالرغم من هذا الخلاف والاختلاف والتفرقة والتمزيق للأمة الإسلامية، إلا أن الله سيحقق

لنا وعده، وهو مالك زمام القلوب، وسيغير ما بها من إحن وضغائن وظلمة وعداوة ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٣).

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

قَدْ يَجْمَعُ اللّهُ أَفرادًا يُؤَيِّدُهُمْ بِالرُوحِ مِنْهُ بِقُرْآنٍ وَأَسْرَارِ
تَلُوحُ أَنْوارُهُمْ تُحْى القُلُوبَ إلى أَنْ يَظْهَر النجمُ فِى صُبْحٍ بِإِسْفَارِ

وسيمحو الله الكفر وأعوانه، بأن يوقع الكافرين في الكافرين، ويهلك الكافرين بالكافرين، ويطهر أرض العالم الإسلامي مما هو فيه الآن، لأن الحروب التي نسمع ونقرأ عنها والتي تقع فى العالم الإسلامي من شرقه وغربه، ومن شماله إلى جنوبه لا يراد من ورائها إلا استئصال المسلمين جميعًا.

والحرب بين الضلالة والهداية مستمرة لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾ (البقرة: ١٣٥).

ولن يدع أبناء الكفر أبناء الإسلام في راحة أبدًا، لهذا يجب علينا أن نكون جميعًا في يقظة تامة ودائمة، لنكون بعدد أنفاسنا على الطريق الموصل إلى مراضي الله تعالى، حتى إذا ما دعا داعي الجهاد أكرمنا الكريم بما أكرم به أحبابه من سلف الأمة الصالح.. ونحن نسمع الإمام المجدد وهو يعرف الغرب بقوله:

ما هو الغربُ ؟ وَغَرْبُ ظُلْمَةٌ فِى ثُلُوجٍ فِى آفْتِقَارٍ فِى كَلَالِبْ
كَيْفَ يَبْقَى الغَرْبُ يَهدِمُ مَجْدَ مَنْ أُيِّدُوا بِالعَالِمِ الأعلَى مَنَاقِبْ
كانَ هَذا الغَرْبُ رِقّاً نُهْبَةً فِي ظلامٍ فى الجَهالَةِ فى الغَيَاهِبْ

وينادي المسلمين فيقول:

يابَنِي سَاسَانَ يا تُرْكُ وَيَا آل نَجْدٍ كُنمُو أَهلَ المَنَاصِبْ
كَانَ يُمْـــنٌ فِيكَ يَايَمـــنُ وَيَـــا آلَ هِنْـدٍ بَلْ وَيَـل آل المَغَـارِبْ
كَانَتِ الشامُ مَقَرَّ الأَوْلِيَا والحِجازُ بِهِ الضيَا للقلبِ جَاذِبْ
آنَ يَا قَوْمُ اجتماعٌ أُلْفَةٌ (غَشْمَطٌ) ظَرْفُ الإجَابَةِ والرَّغَائِبْ

والفجوة بيننا وبين سلفنا الصالح تظهر في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ من بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَات فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

واستثنى فقال: ﴿إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَملَ صَالحًا﴾ (مريم: ٦٠).

فلابد من صحوة تصحبنا فيها أنوار الحي القيوم، وكما بدأ الإسلام غريبًـــا سيعود غريبًا كما بدأ.

لقد اختار الحق سبحانه وتعالى الإمام أبا العزائم ﷺ، ليكون بشير الأمة في عصرنا، فكشف الله بلسانه مشاهد غيبية تعطينا الأمل فـــي مـــستقبل مـــشرق للإسلام والمسلمين، وعود للجهل والظلمة للكفرة والمشركين، من خلال قصائد أملاها ﷺ دونت في كتابه (الجفر)، وهو من أعظم وأخطر ما أملـــى الإمـــام ﷺ بالنسبة لمستقبل الأمة الإسلامية، وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مـــرات فـــي عهد خلفاء الإمام الأول والثاني، دون شرح أو تبسيط لما في هذه القصائد من أحداث وأسرار، وقد تعالت الأصوات تطالبنا بشرح لها، وقد يسر الله تعـــالى هذا الأمر على يد الفقير إلى الله تعالى، الراجي عفوه، فكانت الطبعة الرابعـــة، وقد حوت ما في الطبعات الثلاث السابقة من: مقدمات وقصائد، وفي بيان علم الجفر وأقسامه ورأي العلماء والفلاسفة فيه.

ولكن الله تعالى يسر لنا قصيدة من قصائد الجفر لم تطبع من قبل فى غـــرة محرم سنة ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٣/٨/١٣م، كما يسر لنا الاجتهاد في بيان ما تحقق من تنبؤات الإمام حتى وقتنا هذا فى الباب الثاني من هذا الكتاب.

ثم كانت رؤية الإمام أبي العزائم لمستقبل النظام العالمي الجديد، وهو ما لم

يتحقق حتى الآن فى الباب الثالث.

وفى هذه الطبعة الخامسة مَنَّ الله تعالى علينا بالقصيدة الناقصة فى جميع الطبعات السابقة فى غرة محرم سنة ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧/٧/١م، كما أكرمنا المولى عز وجل بمزيد من الشروحات الجديدة أضفناها إلى هذه الطبعة المباركة.

وأشكر الأخوة الذين شاركوا معنا في الباب الثاني وهم: الدكتور أحمد البحيري، المرحوم الحاج أحمد بيومي، المرحوم الشيخ حافظ منصور، الأستاذ سميح قنديل، الأستاذ سامي قطب، الشيخ قنديل عبد الهادي، المرحوم الشيخ عبد الستار شوشة، المهندس محمود أبو قوطة، الشيخ السيد الشيخ، والابن محمد عبد الحليم.

وأخص بالشكر الأخ الأستاذ عبد الحليم العزمي على جهده الكبير في تجميع رؤية الإمام أبي العزائم لمستقبل النظام العالمي الجديد من خلال كتاب الجفر، وكتاب (ختم ليلة النصف من شعبان).. والله أسأل أن يوفقه إلى عمل الخير وخير العمل دائمًا أبدًا.

أما شكرى الكبير وثنائى العظيم وتقديرى البالغ للأخ خالد حافظ منصور، لمساهمته بتكاليف طباعة هذا الكتاب، والله أسأل أن يبارك فى ماله وأهله، وأن يخلف عليه أضعافًا مضاعفة.

نفعنا الله بعلوم إمامنا وأسراره ومدده، وجمعنا معه على سيدنا رسول الله ﷺ في الدارين، وأبتهل إلى الله تعالى أن يمدني بالتوفيق، ويلحظ عملي بعين القبول.. إنه حميد مجيد.

الطبعة الخامسة

محرم ١٤٣٤هـ

ديسمبر ٢٠١٢م

شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم

مقدمة الطبعة الأولى

لسماحة السيد أحمد ماضي أبى العزائم ﷺ

غرة رجب ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٧/٢/١م

الحمد لله تجلَّى للقلوب بالعظمة، واحتجب عن الأبصار بالعزَّة، وصرَّف الأشياء بالقدرة، فلا الأبصار تثبت لرؤيته، ولا الأفهام تبلغ كنه عظمته، ولا العقول تدرك غاية قدرته.

والصلاة والسلام على نور الهداية لطريق الحق، وشمس الدلالة للخلق سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الأطهار وعلى صحابته الهادين الأخيار. ورضي الله تبارك وتعالى عن حجة الإسلام والمسلمين الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبى العزائم الذي تفخر به جامعة الإسلام الكبرى (الأزهر الشريف)؛ لأنه من أكمل أئمة المسلمين الذي جمع بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة.

وبعد، فتقدم مشيخة الطريقة العزمية الطبعة الأولى لكتاب الجفر للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم سابقًا.

وعلم الجفر هو علم مكاشفة القلوب بأسرار علاَّم الغيوب. سر قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١).

وهو علم غيب الأحكام والشئون؛ لأن الغيب غيبان، غيب الذات، وغيب الشئون، فغيب الذات غيب منيع إذ لا يعلم الله إلا الله، أما غيب الشئون فهذا غيب قد يختص الله به من يشاء من عباده.

وعلم الجفر علم شريف يقوم على أساس من علـــوم النبـــوات والرســـالات السماوية، وأنه لا يمت بصلة إلى أى من العلوم النجومية أو الحروف والأعداد والنظر في هيئة الكواكب السيارة والبروج والظلمات، حتى نعلم أنه لا يقـــوم بالجفر حقيقة إلا ورثة علوم الرسالة المحمدية من أهل بيته الأطهار الأخيـــار، فمن ليس له نصيب من المُوَرِّثِ ﷺ كانت وراثته مجرد ادعاء لا يقوم عليه دليل.

ولما كان الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم هو الوارث الحقيقـــي لرسول الله ﷺ في عصرنا هذا، وقد قام الدليل على صدق وراثته بما أورد من دلائل صدق، وبما ترك للمكتبة الإسلامية من علوم ومعارف في العقيـــدة والفقه والتفسير والتصوف والمواجيد، هذا ولم يكن بمستغرب عليه أن يكـــشف عن (علم الجفر) بحقيقته الإيمانية وبصدق النبوءة.

وقد توالت الأحداث في حياته وبعد انتقاله رضي الله عنه تؤيد ما أخبر عنه، بل تلقـــي الأضواء على كثير من الغيبيات التي تبرهن على صدق وراثته المحمدية.

وإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أكتب هذه المقدمة لكتاب الجفر الـــذي كاد أن يندثر لولا الجهد العظيم الذي قام به ولدي وخليفتي بعدي الـــسيد عـــز الدين ماضي أبو العزائم، والذي يحق لي أن أقدر ما عاناه من متاعـــب، ومـــا لاقاه من مصاعب في سبيل نشر تراث جده الإمام المجدد السيد محمد ماضـــي أبى العزائم، وأيضًا ما صرفه من أوقات في البحث والتنقيب.. ويعلم الله أنـــي كلما أكرر مطالعتي لكتاب الجفر أزداد فخرًا بجهوده في إخراج هـــذا الأثـــر النفيس.

وختامًا أسأل الله تعالى أن يجعل سعيه نحو تراث جده مـــشكورًا، وجهـــده مأجورًا، حباه الله وحيَّاه، والسلام عليه وعلى من حذا حـــذوه ونهـــج نهجـــه، ورحمة الله وبركاته.

مقدمة الطبعة الثالثة

لسماحة السيد عز الدين ماضي أبى العزائم ﷺ

١٨ ربيع ثاني ١٤١١هـ الموافق ١٩٩٠/١١/٥م

الحمد لله، من له ذكر لا يُنسى، ونور لا يُطفى، ونعيم لا يفنى، وثناء لا يحصى، ومُلك لا يزول، وجلال لا يكيف، وكمال لا يدرك، وقضاء لا يرد، وصفات لا تبدل، ونعوت لا تتغير.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ﷺ صلاة تكون لقلوبنا نورًا يملؤها يقينًا، ولأبداننا سرورًا تلين به في طاعتك يا الله، ولنا ولأهلنا وأولادنا وإخواننا حفظًا وسلامة من الأهوال والأمراض يا رب العالمين، وعلى آله أئمة الهدى والرحمة وشفعاء الأمة، وكاشفي الغمة، وعلى صحابته الهادين المهديين، ورضي الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد محمد ماضي أبي العزائم السيد المجتبى، والإمام المرتجى، سليل أهل بيت المصطفى، ونضَّر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبى العزائم الزاهد العابد الراكع الساجد، ولي الملك الماجد، زين المنابر والمساجد ﷺ وأرضاه.

وبعد، فتقد دار الكتاب الصوفي وهي أوجه نشاط مشيخة الطريقة العزمية، الطبعة الثالثة لكتاب الجفر للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبى العزائم الذي أملاه ﷺ وأرضاه في خلال الفترة من عام ١٣٤١هـ حتى عام ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٢٢م حتى عام ١٩٣٧م.

وقد صدرت طبعته الأولى غرة رجب ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٧/٢/١م.

وبعد أن نفدت هذه الطبعة أعيد طبعه للمرة الثانية في ٢٠ شوال ١٣٩٣هـ

الموافق ١٥/١١/١٩٧٣م.

وها هي الطبعة الثالثة نقدمها سائلين للمولى ﷻ أن تنال الرضا والقبول كما نالت الطبعتان السابقتان.

وكتاب الجفر، نفحة من نفحات الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم، وقبس من أنوار مشكاته تلقاه قلبه السليم من الأغيار، في حال تجرده من القيود الكونية، وغيبته عن نفسه وحسه، غيبة هي عين الحضور في حضرة السر والنور، فترجم به لسان بيانه، كاشفًا الأستار عن غيوب الأسرار، بالإشارة في قالب العبارة، لتطمئن قلوب أهل الإيمان بما سيئول إليه أمر أهل القرآن في عالم الكيان. ولهذا قال ﷺ:

خُذُوا بِٱلإِشَارَةِ فَٱلإِشَارَةُ لِلْقَلْبِ ... وَلِلرُّوحِ فِي حَالِ ٱلتَّجَرُّدِ مِنْ تُرْبِ
وَخَلِّ ٱلْعِبَارَةَ أَوِّلَنْهَا فَإِنَّهَا ... تُسَتِّرُ أَسْرَارًا وَتُخْفِي ضِيَا ٱلْغَيْبِ
فَغَشْنَبُ فِيهِ ٱلْغَيْبُ يُجْلَىٰ لِمَنْ صَفَا ... يُبَيَّنُ بِٱلرَّمْزِ ٱلْخَفِيِّ لِذِي ٱللُّبِّ
مَعَانِي صِفَاتِ ٱلْحَقِّ فِيهِ بِمُقْتَضَىٰ ... تَجَلِّيهِ بِٱلأَسْمَاءِ بِٱلْمُقْتَضَىٰ تُنْبِي
فَيَلْحَظُهَا أَهْلُ ٱلصَّفَا فِي تَنَزُّلٍ ... بِهِ ٱلْحُكْمُ تَفْرِيقُ ٱلشُّئُونِ مِنَ ٱلرَّبِّ
وَفِي لَحْظَةٍ أَوْ لَمْحَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ ... يُسَطَّرُ هَذَا ٱلأَمْرُ فِي ظَاهِرِ ٱلْقَلْبِ
يُتَرْجِمُهُ عَنْهُ ٱللِّسَانُ مُبَيِّنًا ... غَوَامِضَ أَسْرَارٍ تُبَاحُ بِلاَ حَجْبِ
وَمَا ٱلْغَيْبُ إِلاَّ جَذْبَةٌ يُصْطَلَىٰ بِهَا ... مُرَادٌ إِلَى ٱلْمَحْبُوبِ فِي صَوْلَةِ ٱلْحُبِّ
لِيَشْغَلَهُ عَنْ كُنْهِ ذَاتٍ تَقَدَّسَتْ ... وَيُوقِفَهُ حَيْرَانَ فِي ظَاهِرِ صَوْبِي
يَرَىٰ سِرَّ تَقْدِيرِ ٱلْحَكِيمِ مُشَاهِدًا ... فَيَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِ ظَاهِرِهِ ٱلشَّوْبِي
فَكَيْفَ يَرَى ٱلْمَحْبُوبُ كُنْهَ حَقِيقَةٍ ... تَعَالَتْ عَنِ ٱلأَعْلَيْنَ فِي ٱلْغَيْبِ وَٱلْقُرْبِ؟!

ثم يقول أمدنا الله بمدده:

وَمَا مَقْصِدِي كَشْفَ ٱلْمَكُونِ وَمَنْ أَنَا؟! أَنَا ٱلْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ حُظْوَةِ ٱلرَّبِّ
فَنيتُ عَنِ ٱلآثَارِ لَٰكِنْ مَكَانَتِي بِمَنْزِلَةِ ٱلتَّمْكِينِ رَبِّي أَرَىٰ حَسْبِي
فَأَفْقَهُ عَنْهُ سِرَّ قُدْرَتِهِ ٱلَّتِي بِهَا أَظْهَرَ ٱلأَكْوَانَ بِٱلآيِ قَدْ تُبْنِي

والغيب- كما قال ﷺ- ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول غيب كنه الذات الإلهية، وهذا الغيب محظور بيانه، (لا يعرف الله في الله إلا الله، ليس في الله إلا الله، وليس في الكون إلا الكون، فلا الكون ظرف لله، ولا الله ظرف للكون).

والقسم الثاني غيب الكائنات، وهذا الغيب يكاشف الله به تعالى من يشاء من عباده، سر قوله جل شأنه: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وتحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٩).

والفرقان نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده فيميز به بين الخبيث والطيب، ويفرق به بين الحق والباطل، وأهل هذا المقام هم المعنيون، بقول الله ﷻ في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي يتكلم به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه). أخرجه البخاري.

ومن سمع بربه، وأبصر بربه، غرق في بحار الأحدية، وترجم بأسرار الواحدية، مبينًا للغيب المصون، والسر المكنون، بسر إمداد من يقول للشيء

كن فيكون.

إلى هذا المقام يشير الإمام ﷺ فيقول:

غيبان: غيب مُكَوِّن الأكوان حظر أبيح به بنور بيان
إخفاؤه دين أدين به ولي عند اصطلامي في نشوة السكران
والغيب غيب الكون في رمزي يرى للعارفين حقيقة التبيان
نجم يلوح وظلمة قد تختفي حال اختلاف أئمة الشيطان

ولا يفوتني أن أنوه بأحد حفاظ الجفر – الذي تلقاه عن جدى الإمام السيد محمد ماضي أبى العزائم – الشيخ أبو العلا أحمد وهو من رعى ما استحفظ وحفظ ما استودع. فاللهم تقبله منه، واجزه على ذلك جزاء المحسنين.

ولقد رأيت أن أكتب في الجزء الأول من هذا الكتاب عن الجفر وحقيقته وأنواعه، وعن أقوال المنكرين والرد عليهم، وعن بيان أن الغيب يكشف للأنبياء معجزة وللأولياء كرامة، وعن ماهية الجفر عند الإمام المجدد ﷺ، دون التعليق عليها.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥).

الباب الأول

الجفر عند الأئمة من أهل البيت

للسيد عز الدين ماضي أبي العزائم رضي الله عنه

الفصل الأول

الجفر وحقيقته وأقسامه

حقيقة الجفر:

الجفر– على ما في القاموس– من أولاد الشاة: ما عظم واستكرش وبلغ أربعة أشهر، والجمع أجفار وجفر، وقريب منه ما في الصحاح، وفي مجمع البحرين فسر – أى الجفر – في الحديث إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم.

فالجفر هو جلد شاة أو ثور أو بعير، وكان يتخذ لكتابة العلم فيه لقلة الورق في ذلك العصر، وقد أطلق الجفر على العلم الذي أودع فيه مجازًا، وقد اتخذ منه الأئمة من أهل البيت وعاء للسلاح وللكتب المدون فيها العلوم كما تشير الروايات.

وكتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي – وهو رأس الزيدية – كان له كتاب يرويه عن الإمام جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص.

وقع ذلك للإمام جعفر الصادق ونظائره من رجالاتهم، عن طريق الكرامة والكشف، الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوبًا عند الإمام جعفر الصادق في جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسمَّاه الجفر – باسم الجلد الذي كتب فيه –؛ لأن الجفر في اللغة هو الصغير، وصار هذا الاسم علمًا لهذا الكتاب عندهم، وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب

المعاني مروية عن الإمام جعفر الصادق ﷺ، وقد صح عنه أن كان يحذر بعض قرابته بواقعة أن تكون لهم فتصح كما يقول، وقد حذر يحيى بن عمه زيد من مصرعه وعصى وخرج فقتل بالجوزجان كما هو معروف، ويقول ابن خلدون في مقدمته تعليقًا على ذلك: (إذ كانت الكرامات تقع لغيرهم فما ظنك بهم علمًا ودينًا وآثارًا من النبوة؟ وعناية من الله للأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة).

وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري:

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في جلد جفر

فمرآة المنجم وهي صغرى تريه كل عامرة وقفر

وذكر بعض علماء أهل السنة الجفر وأنه مما يعلمه الإمام جعفر الصادق، قال ذلك الشبلنجي في نور الأبصار ص١٣١، وفي حياة الحيوان الكبرى فائدة.

وقال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب: وكتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة.

أقسام الجفر:

والجفر اثنان:

١- **الجفر الأبيض:** عبَّر عنه الإمام جعفر الصادق ﷺ، بأنه وعاء من آدم فيه علوم الأنبياء والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، كصحف إبراهيم وتوراة موسى، وزبور داوود وإنجيل عيسى عليهم السلام وغيرها، فهو مضاف إلى أنه كتب فيه علم الحوادث وجُعل وعاء للكتب التي دونت فيها العلوم.

٢- **الجفر الأحمر:** وفيه علم الحوادث، وجعل وعاء للسلاح، وتسمية الأول بالأبيض في مقابل ما قصد من تسمية الثاني بالأحمر، إذ تسميته بالأحمر لأن فيه ذكر الحوادث الدموية والحروب، وفي كلا الجفرين علم الحوادث وما سيجري وسوف يجري، وعلم المنايا والبلايا.

وقد سمي الأبيض بالجفر الأكبر والأحمر بالجفر الأصغر، وتستفاد هذه التسمية من الروايات، وأن عبد الله بن الحسن وغيره من بني الحسن كانوا يعلمون بوجود الجفر عند الإمام الصادق ﷺ، ولكنهم كانوا يوهنون من أمره؛ لأن فيه أن الخلافة لا تكون لهم، وأنهم لا يفلحون إذ خرجوا طالبين لها.

والذي يتحصل من ذلك كله أن الجفر موجود عند الأئمة من أهل البيت رضوان الله عليهم، وأن فيه علم الحوادث وغيرها، وأما كيفية استنباط الحوادث الغيبية منه وأنه يكون على طريقة الحروف أو الأخبار، فلم يظهر ذلك لإخواننا علماء الشيعة الإمامية، ومن ثم فلا يمكن إنكاره لتواتر الروايات فيه.

الفصل الثاني

الجفر بين الإقرار والإنكار

أقوال منكري علم الجفر:

ينكر البعض علم الجفر، واعتمدوا في ذلك على أمور:

أولها: أن هذا العلم يتعلق بعلم الغيب الذي انفرد الله به ﷻ، ولم يعطه إلا لبعض الأنبياء ليثبتوا به رسالتهم.

ثانيها: أن في نسبة الجفر إلى الأئمة من أهل البيت رضوان الله عليهم، رفعة لهم عن مرتبة الإنسان الموهوب، الذي يجد ويجتهد ويبحث ويطلب، وقد منع هؤلاء أن يكون الأئمة من أهل البيت موهوبين يؤتون العلم بالإلهام.

ثالثها: أن نسبة الجفر إلى الأئمة من أهل البيت تستلزم نسبة أمر غير معقول إليهم؛ لأن علمهم بالجفر يخرجهم عن كونهم بشرًا يحصل لهم العلم بكسب ودراسة.

الرد على منكري الجفر:

أولاً: الجفر وإن كان يتعلق بالحوادث الغيبية إلا أن علم الأئمة به لا يلزم منه أن يكونوا مشاركين لله تعالى في علم الغيب، لأنه علم علَّمه الله لنبيه ﷺ، والنبي ﷺ أملاه على الأئمة؛ فصار علمًا مودعًا عندهم، فهم يعلمون بالحوادث عن تعليم وتوقيت وتحديد من قبل الله تعالى على حسب ما أعلم الله به نبيه ﷺ، ومن كان علمه على هذا النحو، لا يكون عالمًا بالغيب ليشارك الله تعالى به، ولا يصعب التصديق بوجود الجفر عند الأئمة إلا على من حرم

نفسه من نعمة الموالاة لهم التي تسهل عليه العقيدة به وبغيره من العلوم اللدنية.

ثانيًا: إننا نقول: إن الأئمة من أهل البيت أرفع مرتبة من الإنسان العادي الموهوب، لأنهم رضي الله عنهم قد أفاض الله عليهم من القابليات ما رفعهم بها عن ذلك المستوى، والله على كل شيء قدير يختص بعطاياه ومواهبه من يشاء.

ثالثًا: أنه لا يستحيل عقلاً أن يكون عند الأئمة علم الجفر على ما تقدم وصفه، ما دامت القابليات الموهوبة لهم من الله تعالى تؤهلهم أن يستودع هذا العلم، ما دام علمهم به وبقواعده بتعليم من النبي ﷺ، فلم يخرج ذلك بكونهم بشرًا معلمين وإن فاقوا البشر في قابليتهم التي وهبها الله تعالى لهم.

الفصل الثالث

ما يقوله العلماء والفلاسفة في ذلك

إن الله استأثر بعلم الغيب، وحجب أبصار الناس وبصائرهم عن النفوذ إلى ما وراء الغيب، والاطلاع على مستقبل الحوادث التي ستأخذ محلها من الزمان، ولكن الله إذا أخبر عبدًا مرضيًّا عنده عن حادثة وأطلعه على حكم لم يكن ذلك بالشيء البعيد عن المألوف، وإلى هذا يذهب علماء الإسلام.

رأي الغزالي:

وقد ضرب الغزالي ﷺ بعض الأمثلة في عجائب القلب بإمكان اطلاع المرء على أمر من أمور الغيب إذا صفت نفسه، وزكت سريرته، ويدخل بعضها فيما يذكره علماء النفس المحدثون، (الجلاء البصري) و(الرؤيا من بعد) ويسميها ابن سينا إلهامًا، ووسيلته الفضيلة والتنسك؛ لأن الروح لا ينكشف لها من المغيبات إلا بقدر اتصالها بالموجود الأعلى، وهي تتصل به إذا تغلبت على ماديات الجسم، ولذلك فهي في حالة النوم أكثر اتصالاً بالملأ الأعلى منها في حالة اليقظة، وهي في حالة الموت أكثر منها اتصالاً وشفافية منها في حالة النوم.

والنظرية التي يقول بها الإمام الغزالي، هي أن هذه الحاسة موجودة فعلاً بالفطرة عند كافة الخلق، ووجود السمع والبصر والذوق مع أعضائها المناظرة لها، وهي الأذن والعين واللسان، ولكن إدراك الحاسة الباطنة يتطلب أمورًا أولها عدم اشتغال النفس بالمحسوسات الظاهرة، وحجبها عن شهوات البدن